بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، ورضي الله عن الخيرة المنتجبين من أصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد

فإن الحمد لله الذي وفق وهدى ثم أعان وبارك في العمر والجهد حتى تم هذا العمل الذي أردت منه – بمساعدة أبنائي البررة من طلاب العلم شكر الله لهم وجزاهم خيرا إثبات أن السنة النبوية المطهرة (برغم ما يكال لها من طعنات من مؤيديها وأعدائها) قادرة على العطاء حافلة بالكنوز في كل زمان ومكان ، وفي كل التخصصات العلمية ، و هذا الكتاب المتواضع يضم ثلاثة أقسام : القسم التمهيدي الذي عرضت فيه الملامح العامة للإعجاز التربوي في السنة مع تحديد مفهومات السنة وما يلامس هذه المفهومات من مسائل أساسية ، و يليه القسم الأول الذي أوضحت فيه بالدراسة التحليلية المتعمقة مدى توفر الإعجاز التربوي في القصص النبوي ، والقسم الثاني أوضحت فيه بالدراسة التحليلية الموجزة مدى توفر الإعجاز التربوي في مختارات من الحديث النبوي ، وحرصت على توثيق كل حديث ، بحيث خلا الكتاب كله – بحمد الله تعالى – من أي حديث ضعيف فضلا عن الموضوع وأسأل الله تعالى أن يجعله من العلم النافع لكاتبه وقارئه ، إنه سميع مجيب .

أ.د. مصطفى رجب .

قرية شطورة . سوهاج

صعيد مصر

في ذي الحجة الحرام ١٤٢٨ . ديسمبر ٢٠٠٧

obeikandl.com

obeikandl.com

التربية النبوية

كان المسجد بعد استقرار دولة الإسلام هو المؤسسة التربوية الأولى التي ترعرعت فيها الدعوة وآتت أكلها إيماناً خالصاً ، وجهاداً مستمراً ، وسباقاً شريفاً إلى الفوز بخير الدارين ورضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد هيأ الله تعالى لهذه المؤسسة التربوية كل مقومات النجاح : إدارةً ، وتخطيطاً وتنظيماً . فكان الصحابة رضوان الله عليهم خير أجناد الله في الأرض وحملوا الرايات الإسلامية الخفاقة بعد انتقال المعلم الأول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وجابوا البلاد المفتوحة وأسسوا فيها المساجد ليتواصل العطاء المحمدي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

سمات التربية النبوية :

وكانت مجالس النبي صلى الله عليه وسلم مفتوحة الأبواب ، لا شروط مسبقة للقبول فيها ، ولا رسوم تُدفع ، ولا حُجَّاب على الأبواب يدفعون الضعاف ويأذنون للأقوياء ولا استثناءات تحول بين الفقير والتعلم .

وكانت تربية محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه ورواد مجالسه تقوم على أسس تخالف ما تقوم عليه المدارس الحديثة :

أ- **من حيث إن مصادرها إلهية:**

فالتربية المعاصرة بجميع صورها ترجع إلى تنظيمات بشرية ، وفلسفات إنسانية تنوء بالتناقضات التشريعية ، وتزخر بالتشوهات التنفيذية الناجمة عن الرضوخ لأهواء القائمين عليها : تخطيطا وتمويلا وتنفيذا ، أما التربية النبوية فلها عصمتها من حيث إنها منزهة عن الهوى لكون مصادرها إلهية ، قال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾

[الجمعة/الآية ٢]

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة :

"قال ابن عباس: الأميّون العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب.

و ﴿ ... رَسُولاً مِّنْهُمْ ... ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم. وما من حَيّ من العرب إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد وَلَدوُه. قال ابن إسحاق: إلا حَيّ ثَعْلِب فإن الله تعالى طهّر نبيّه صلى الله عليه وسلم منهم لنَصْرَانِيّتهم، فلم يجعل لهم عليه ولادة. وكان أمّياً لم يقرأ من كتاب ولم يتعلّم صلى الله عليه وسلم. قال الماوردي: فإن قيل ما وجه الامتنان في أنه بعث نبياً أمّياً؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه: أحدها لموافقته ما تقدمت به بشارة الأنبياء. الثاني . لمشاكلة حاله لأحوالهم، فيكون أقرب إلى موافقتهم. الثالث . لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعي إليه من الكتب التي قرأها والحِكَم التي تلاها[1]

ب – ومن حيث إنها مفتوحة للجميع بلا استثناءات ولا شروط للقبول :

فالملحوظ في مدارسنا المعاصرة أنها قد تكون مقصورة على نوعية معينة من الناس ، كالفائقين أو المعوقين ، أو العسكريين ، أو الموهوبين في هذا الجانب أو ذاك ، وحين تكون المدارس عامة – غير فئوية – فغالبا ما تئن نظم العمل بها تحت وطأة القواعد والتشريعات والقرارات المتراكمة ، والمتضاربة أحيانا ، أو تكون مثقلة بالاستثناءات ، أما التربية النبوية فهي مفتوحة للجميع كما قال تعالى :

(١) الإمام القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ/الآية٢٨]

قال الإمام الطبري[1]:

أي وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين، العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيرا من أطاعك ونذيرا من كذّبك، وَلَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر.

جـ – ومن حيث إنها مجانية لا تطلب رسوماً :

فقد تعددت النصوص الشرعية التي تقطع بأن التربية والتهذيب والتعليم والتزكية هو واجب النبوة الأول إزاء المؤمنين ، ولا يصح تقاضي أجر على هذا الواجب ، كما قال تعالى :

﴿ . . . قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ . . . ﴾

[الشورى/من الآية٢٣] .

قال الإمام ابن كثير [2] : قوله عز وجل:

﴿ . . . قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ . . . ﴾

أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تعطونيه وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة.

الملامح العامة للتربية النبوية :

(١) الإمام ابن جرير الطبري ، **جامع البيان في تفسير القرآن** ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م.
(٢) **الإمام ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم . ، بيروت دار الفكر ، ١٩٨١م.**

وقد تميزت التربية النبوية بعدد من السمات والملامح العامة التي تجعلها النموذج الأسمى للتربية ،وتجعلها تفوق كل التطبيقات التربوية للفلسفات والمذاهب الفكرية البشرية اللاحقة لها ، ومن أهم تلك السمات أو الملامح :

الحرية :

ففي أي مؤسسة تربوية معاصرة توجد قيود متعددة تحد من حرية المعلم أو حرية المتعلم . ومن هذه القيود : الالتزام بنظام المجتمع السائد الذي تعمل فيه تلك المؤسسة التربوية ، والانصياع للقرارات والقوانين المنظمة لعمليات التحصيل الدراسي والتقويم والقياس التربوي ، والارتباط بأعمار معينة للمتعلمين وشروط خاصة للانتقال من مستوى تعليمي إلى مستوى أعلى . أما في ظل التربية النبوية فقد كان لكل أحد حق التعلم وحق السؤال دون قيد أو شرط ، لأن ضوابط السلوك التعليمي كانت إلهية والمثال على ذلك عندما كان بعض المسلمين يتصايحون بأصوات مرتفعة وهم ينادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج إليهم نزلت آية كريمة تنبههم إلى خطأ سلوكهم فذلك قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ [الحجرات/الآية ٢]

قال الإمام القرطبي في سبب نزول هذه الآية[1]:

" روى البخاريّ والترمذيّ عن ابن أبي مُليكة قال: حدثني عبد الله بن الزبير أن الأقرع بن حابس قدِم على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر: يا رسول الله استعمله على قومه فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى

(١) الإمام القرطبي ، مرجع سابق.

ارتفعت أصواتهما فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافك قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ... ﴾ قال: فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه".

الاستمرارية :

من شأن المؤسسات التربوية المعاصرة التخلي عن واجباتها عند حد معين يبلغه المتعلم ، أو تقلص دورها عند ذلك الحد ، فمثلاً إذا نظرنا إلى الأسرة كمؤسسة تربوية نجدها تمارس دورها التربوي حتى سن السادسة ، ثم تكل الطفل إلى مدرسة وترفع يدها عن تربيته شيئاً فشيئاً ، حتى إذا تزوج أو بلغ مبلغ الرجولة لم يعد لأسرته أثر في تنشئته وتقويم سلوكه .

وكذلك الحال بالنسبة للمدرسة ، فما أن يتركها المتعلم إلى الجامعة أو غيرها حتى تستقبل غيره ولم يعد لها سلطة عليه . وقل مثل ذلك في دور العبادة وجماعات الرفاق والأندية ووسائل الإعلام ، فكل تلك المؤسسات يظل أثرها محدوداً بالمدة التي يقضيها الفرد بين جنباتها .

أما المجالس النبوية فقد كان للتربية المنبثة فيها أثر سلوكي دائم مع روادها . إذ كانت تمتد آناء الليل وأطراف النهار من جهة ومن جهة ثانية كان الصحابة يذكّر بعضهم بعضاً بما سمعوا وما شاهدوا من مواقف تعليمية للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم . فصفة الاستمرارية متحققة في هذا النموذج التربوي أدق تحقق .

الشمول :

وإذا كانت التربية المعاصرة تأخذ بمبدأ التخصص ، فتتيح للمتعلم أن يتلقى علماً معيناً أو علوماً بعينها ، فإن التربية النبوية لم تكن كذلك بل كانت تشمل جميع جوانب الحياة .فقد يسأل سائل عن الميراث ، ويسأل ثان عن الجهاد ، ويسأل ثالث عن علاقته بأهله ، ويسأل رابع عن أمور صحية . . إلخ

فكان التوجيه النبوي ملبيا لكل احتياجاتهم التربوية /التعليمية ، يشمل كل شؤون الحياة دون إهمال شأن منها ، وكيف يكون الإهمال – حاشا لله – وقد يعث الله ﷻ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأجرى على لسانه الشريف سنته المطهرة تبياناً للكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي لم يفرط في شيء من الأشياء .

أنماط التفاعل التربوي في المجالس النبوية :

وقد أمكننا رصد ثلاثين نمطاً من أنماط التفاعل التربوي بين المعلم القائد صلى الله عليه وسلم وبين رواد مجالسه اعتماداً على المصادر الأصلية للسنة المطهرة ، فمنها :

تفقد أحوال المتعلمين :

كان عطف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جلسائه ومرافقيه في الحضر والسفر وإشفاقه عليهم لا يفتأ يسألهم عن أحوالهم ويطمئن على ما يقلقهم ، ويشاركهم التفكير في مشكلاتهم وكيف يواجهونها، فقد أخرج الإمام مسلم وغيره **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي عُيُونِ الأَنْصَارِ شَيْئًا قَالَ قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا قَالَ عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ**

وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ قَالَ فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ "(١).

ففي هذا الحديث الشريف يبدو حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تيسير شؤون الزواج لسائله ، فها هو ذا ينبه الرجل إلى أن من حقه أن ينظر إلى من اختارها حتى تطمئن نفسه إلى سلامة اختيارها ، فلما رآه قد انتهى من هذا ، انتقل له إلى مسألة المهر ، وأراد صلى الله عليه وآله وسلم بذلك أن يطمئن إن كان سائله يستطيع أداء المهر أو لا يستطيع . فلما رأى ضيق ذات يده ، وهو بحاجة إلى الزواج أرسله في بعث يعود منه غانماً .

ومما يندرج تحت هذا الباب أيضاً ، ما رواه الإمام مسلم من حديث **عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَخَا الأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ صَالِحٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ وَلا خِفَافٌ وَلا قَلانِسُ وَلا قُمُصٌ نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ"**(٢) .

ففي هذا الحديث تظهر رحمته صلى الله عليه وآله وسلم وإشفاقه على صحابته وحرصه على تفقد أحوالهم والسؤال عن غائبهم ، وعيادة مريضهم ، وصدق الله العظيم حين قال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء/الآية١٠٧].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، حديث رقم ٢٥٥٣ ، والنسائي في سننه ، كتاب النكاح ، حديث رقم ٣١٨٢ ، وأحمد في مسنده برقم ٧٠٥٦، ٧٦٣٨- (باقي مسند المكثرين) .
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، حديث رقم ١٥٣٣ .

التشويق :

من أنماط التفاعل التربوي الرائدة في السنة المحمدية : تشويق المتعلمين وحفز انتباههم ، وشحذ هممهم إلى أمر خافٍ عليهم ليكون في تتبعهم إياه دافع تعليمي ذاتي لديهم يستثير قدراتهم وينمي مهاراتهم في التعلم المستمر.

فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الأُولَى فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ إِنِّي لاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلاثًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَنَسٌ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِيَ الثَّلاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلاةِ الْفَجْرِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلا خَيْرًا فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلا هَجْرٌ ثَمَّ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلاثَ مِرَارٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ قَالَ فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

غِشًّا وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لا نُطِيقُ "(١).

معالجة أخطاء المتعلمين :

من البدهي أن تند من متعلم أو أكثر تصرفات وسلوكيات يختلط فيها الصواب بالخطأ ، وحسن الخلق بسوئه ، والبداوة بالتحضر ، والفطنة بالغفلة ، فطلاب العلم على تنوع مشاربهم وتعدد ثقافاتهم – كبروا في السن أو صغروا – عرضة للأخطاء خلال تعلمهم وهنا يظهر وجه جميل من أوجه الإعجاز التربوي في السنة المطهرة فقد وسع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل أولئك برحابة صدر معلم عديم المثال ، ومرب إلهي الإعداد ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه **عن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ فَسَكَتَ عَنْهُ وَأُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ انْصَرَفَ وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْظُرُ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلاةَ مَعَنَا فَقَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ أَوْ قَالَ ذَنْبَكَ .**

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك حديث رقم ١٢٢٣٦.

في هذا الحديث الشريف تبدو سعة صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصبره على أصحابه . فالرجل جاء متلهفاً يريد أن يبرأ من ذنبه ، فيعترف بارتكابه الخطأ ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمعه مرتين ويعرض عنه ، وكان هذا الإعراض كافياً للرجل فقد برئت ذمته بإبلاغ ولي أمره بما حدث منه واعترافه بجريرته . ولكنه يصر على إعادة السؤال بعد الصلاة فيشرح له المعلم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كيف أن الله تعالى قد تجاوز عن سيئته جزاء وضوئه وسعيه للصلاة برحمته الواسعة التي وسعت كل شيء .

obeikandl.com

السنة النبوية : المفهومات والمصطلحات

من المعلوم بالضرورة أن السنة النبوية المطهرة تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث مصادر الفكر الإسلامي. ومن هنا نشأت الحاجة إلى العناية بعلوم السنة وبحوثها على مدى التاريخ. ومن هنا -أيضاً- جاءت مواطن غمز أعداء هذا الدين الذين أدركوا من فترة مبكرة أو مطاعنهم إذا اتجهت إلى القرآن فستبوء بالخسران لا محالة. فاتجهوا بسمومهم وأحقادهم إلى السنة النبوية بهدف التشكيك فيها مما حدا بعلماء المسلمين-في المقابل-إلى السهر المتواصل على حفظ السنة وصيانتها من الدس والغمز والطعن.

وليس هنا مجال التفصيل في هذه النقطة. ولكننا سنكتفي بالإشارة إلى أهمية السنة ومكانتها ثم نخلص إلى موقع القصة منها:

علاقة السنة بالقرآن الكريم :

للسنة من حيث علاقتها بالقرآن الكريم حالتان : إما أن تكون شارحة له ، أو تكون زائدة عليه ، فإن كانت زائدة عليه بحث العلماء في مدى اتفاق هذه الزيادة -بعد التأكد من صحتها سنداً ومتناً-مع القرآن الكريم وإذا ثبت اتفاقها مع نصوص القرآن وجب العمل بها بلا خلاف.

أما إن كانت متفقة مع القرآن ، شارحة له فإنها تسير على طرق أربع هي:

أ- أن تكون مؤكدة للقرآن :

أي يكون ما جاء فيها متفقاً مع نص قرآني صريح كقوله صلى الله عليه وسلم : "لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفس" فإنه مؤكد لقوله تعالى :

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ...} (النساء/الآية ٢٩)

وعلى ذلك يكون حكم تحريم أكل أموال الغير بالباطل له دليلان : من القرآن ومن السنة.

ب- أن تكون مفسرة لنص مجمل :

فالأحاديث المختلفة التي بينت تفاصيل هيئة الصلاة وأحكامها فسرت عموم قوله تعالى {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ} ، وكذلك الحال في الصيام والزكاة والحج حيث جاءت نصوص القرآن مجملة وأخذ المسلمون تفسيرها من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله.

ج- أن تخصص نصاً قرآنياً عاماً :

فقوله صلى الله عليه وسلم "لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم"(١) وقوله "لا يرث القاتل"(٢) جاءا لعموم قوله تعالى : {يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ ...} (النساء/من الآية ١١) فالنص القرآني -على ظاهره- عام يفيد طريقة توريث الأبناء. فجاءت السنة فخصصت ذلك ببيان أن ديانة الابن والأب إذا اختلفتا فلا يتوارثان، كما بينت في الحديث الثاني أن قاتل أبيه لا يرثه لأنه استعجل الشيء قبل أوانه.

د- أن تقيد نصاً قرآنياً مطلقاً :

فقوله تعالى : {وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا} (المائدة/الآية ٣٨) مطلق فجاءت السنة فقيدت هذا الإطلاق وبينت أن القطع إنما يكون في اليد اليمنى ، كما

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفرائض ج٣ ص ١٢٣٣ عن أسامة بن زيد.
(٢) ابن ماجه (ت٢٧٣هـ) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : (دار إحياء التراث العربي د.ت. ج٢-ص٩١٣ حديث رقم ٢٧٣٥.

أن النص مطلق لأن اليد تطلق في اللغة على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع. فبينت السنة أن القطع يكون من الرسغ. وقد فعل ذلك رسول الله حين أُتي بسارق فقطع يده من مفصل الكف.(١)

انفراد السنة بالتشريع :

وفيما عدا الحالات الأربع السابقة وما قد ينضوي تحتها ، تنفرد السنة النبوية بتشريع الأحكام وبيان الآداب التي يجب على المسلم الالتزام بها فمن أمثلة ذلك :

أ- ما جاء عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:"يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب : من خال أو عم أو أخ"(٢) .

ب- قوله صلى الله عليه وسلم "لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها"(٣) .

ج- تحريم الذهب والحرير على الرجال .

د- تحليل ميتة البحر.

هـ- سنة صلاة الوتر.

أدلة الالتزام بالسنة :

وقد تسول النفس الأمارة بالسوء لإنسان أن يتنصل من العمل بالسنة مدعياً أن في القرآن ما يكفي المسلم، وهذا إفك عظيم لا يقول به إلا مارق من الدين للأدلة التالية :

أولاً : وضوح نصوص القرآن التي تلزم المسلم اتباع السنة :

١- قوله تعالى :﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

(آل عمران/الآية ٣٢) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود / باب في قوله تعالى : {والسارق والسارقة} مجلد ١٢ ص ٩٦،٩٧.
(٢) السابق ، م ١ ص ١٢٠.
(٣) صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٠٢٨.

٢- قوله تعالى :﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ...﴾
(آل عمران/من الآية ٣١) .

٣- قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ... ﴾ (النساء/من الآية ٥٩) .

٤- قوله تعالى :
﴿ فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ...﴾
(النساء /من الآية٦٥) .

٥- قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ .... ﴾
(القصص /من الآية ٥٠) .

٦- قوله تعالى :
﴿... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ... ﴾
(الحشر/من الآية ٧)

وهناك عشرات الآيات الأخرى التي تؤكد هذا المعنى وهو : وجوب اتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

ثانياً :وضوح نصوص السنة التي تلزم المسلم اتباعها . فمن ذلك :

١- قوله صلى الله عليه وسلم : "ألا إني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه . ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه

وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه . ألا وأن ما حرم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما حرمها لله"[١] .

٢- قوله صلى الله عليه وسلم "إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه"[٢] .

٣- قوله صلى الله عليه وسلم "إياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة. فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . عضوا عليها بالنواجذ"[٣]

ثالثاً : إجماع المسلمين على ضرورة التزام السنة :

فمن ذلك :

١- ما رُوي عن ميمون بن مهران-أحد ثقات التابعين وفقهائهم-في قوله تعالى:

{ .... فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ ...} قال ميمون الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته"[٤] .

٢- ما روي عن عبد الله بن مسعود-أحد الصحابة العلماء-أنه قال "إذا سُئِلْتُم عن شيء فانظروا في ككتاب الله فإن لم تجدوه في كتاب الله ففي سنة رسول الله "[٥] .

فهذا النصان-وغيرهما-دليل على أن الأمة الإسلامية اتفقت كلمتها من أيام الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم على ضرورة الالتزام بالسنة كمصدر ثان للتشريع بعد القرآن مباشرة، أو كمصدر أول بالنسبة لما لم يرد فيه نص في القرآن. وهي بهذه الصفة أقصد في حالة عدم وجود نص في القرآن-تعد مصدراً ثانياً إذا وضعنا في الاعتبار أوامر

(١) الدارس(ت٢٥٤هـ)،سنن الدارس (بيروت:دار الكتب العلمية.د. ت ، المقدمة باب السنة قاضية ج١) ، ص ١١٧.
(٢) الحاكم النيسابوري، السمتدرك على الصحيحين،بيروت:دار المعرفة، م١ ، ص٩٣ كتاب العلم/ باب خطبة الوداع.
(٣) مسند أحمد بن حنبل ، مرجع سابق، م ٤ ، ص ١٢٦.
(٤) ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) جامع بيان العلم وفضله ، القاهرة: دار الطباعة المنيرية د.ت ، ج١ ، ص١٨٧.
(٥) ؟؟؟؟ الدارس ، مصدر سابق ، باب الفتيا ن ج١ ، ص ٥٣.

القرآن القاطعة التي أوردناها سابقاً باتباع الرسول وطاعة أوامره. أي أنها-هنا-مصدر أول من الناحية الشكلية قط. بمعنى أن السنة التي تتضمن أحكاماً لم يرد بها نص قرآني صريح تستمد قوتها وشرعيتها وحجيتها وإلزامها من النصوص القرآنية الصريحة التي توجب على المسلم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع أوامره جميعاً.

أقسام السنة بصفة عامة :

تختلف تقسيمات العلماء للسنة النبوية تبعاً لاختلاف تخصصاتهم وأهداف مناهجهم فمثلاً علماء الحديث يُعرِّفون السنة بأنها :

"كل ما أُثِرَ عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-من قول ، أو فعل، أو تقرير، أو سنة خلْقية(بسكون اللام) أو خُلُقية (بضم الخاء واللام) أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها"[1] .

وهذا التعريف يجعلها أقساماً ستة هي (القول-الفعل-التقرير-المظاهر الخلقية (كاللباس والجسم وما إليهما)-الأخلاق-السيرة).

وأما علماء أصول الفقه الذين ينصب اهتمام علومهم على أدلة الأحكام فهم ينظرون من السنة إلى جانبها التشريعي فصار تعريف السنة عندهم مرتبطاً بأهداف مناهج علومهم فهي عندهم:

"كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم-غير القرآن-من قول ، أو فعل أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي".[2]

وأما علماء الفقه الذين ينحصر بحثهم في الحكم الشرعي من حيث : الوجوب أو الحرمة، أو الندب (الاستحباب) ، أو الإباحة. فإن تركيزهم في تعريف السنة ينصب

(١) محمد عجاج الخطيب ، أصوب الحديث ، ط ٣ (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٥) ص ١٨.
(٢) المرجع السابق ، ص ١٩.

obeikandi.com

على أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم التي تفيدهم في معرفة الحكم الشرعي. فالسنة عندهم-بهذا الفهم-تقابل الواجب أو الغرض. أي أنهم إذا قالوا : هذا الفعل واجب فمعناه أنه يلزم كل مسلم عمله ويثاب على عمله ويعاقب على تركه ، أما إذا قالوا : هذا الفعل سنة فمعناه أنه في الدرجة الثانية بعد الواجب أو الغرض أي يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.

فتعريف السنة عندهم :

"كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب"(١)

وموازنة التعريفات الثلاثة السابقة تثمر النتائج التالية:

١- إن تعريف علماء الحديث أوسع التعريفات لأنه شمل كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم سواء أكان قبل البعثة أم بعدها، وسواء أأثبت حكماً شرعياً أم لم يثبت.

٢- أن من السنة القولية والفعلية ما لا يثبت حكماً شرعياً بشكل صريح كالقصة النبوية مثلاً وهذا لم يلتفت إليه الأصوليون.

٣- أن تعريف الفقهاء يركز على الجانب الفعلي بالدرجة الأولى يليه الجانب القولي فالتقريري.

٤- أن الحد الأدنى المشترك في التعريفات الثلاثة هو الاتفاق على الجوانب الثلاثة (القول-الفعل-التقرير).

السنّة القولية :

وواضح من تسميتها أنها أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في المناسبات والمواقف المختلفة خلال حياته وقد يكون بعضها أقوى من بعض من حيث السند (=سلسلة الرواه)

(١) المرجع السابق ، ص ١٩.

openkanal.com

أو أوضح من بعض من حيث الدلالة على الأحكام الشرعية. وسنعود بعد قليل لإلقاء مزيد من الضوء على هذا النوع من السنّة.

السنّة الفعلية :

وهي تصرفات-الرسول-صلى الله عليه وسلم-التي نقلها عنه صحابته رضوان الله عليهم وفعلوها أو أوصوا بفعلها تأسيساً بالسلوك النبوي وتمشياً مع قوله تعالى :

{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... } (الأحزاب/من الآية ٢١)

فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبيد بن جريح أنه قال (أي عبيد بن جريح) لعبد الله بن عمر بن الخطاب : يا أبا عبد الرحمن رأيتك تصنع أربعاً لم أر من أصحابك من يصنعها. قال: ما هنّ يا ابن جريح؟ قال : رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين[١] ورأيتك تلبس النعال السبتيه[٢] ورأيتك تصبغ بالصفرة (أي تصبغ شعرك باللون الأصفر) ورأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ولم تهلل. فقال ابن عمر أما الأركان فإني لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس إلا اليمانيين ، وأما النعال السبتية فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فأنا أحب أن ألبسها، وأما الصفرة : فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها. وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل حتى تنبعث به ناقته.[٣]

ومن قبيل السنة الفعلية ما نقل إلى المسلمين وصار عليهم حُجة من أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاته وصومه وحجه فكل تفاصيل هذه العبادات منقولة من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أمثلتها ما رواه الحاكم بسنده عن أبي بكر عن أبيه أن

(١) الركن اليماني (في الكعبة) الذي يُبدأ منه الطواف حولها.
(٢) السبتية : (بكسر السين وتشديدها) : النعال المصنوعة من جلد البقر وليس فيها شعر .
(٣) مسند أحمد ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٦.

النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دُبر الصلاة : اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر"[١] .

ويدخل في نطاق السنة الفعلية تلك الأحكام الشرعية التي روى الصحابة فعلها عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أمثلتها ما رواه ابن ماجه بسنده عن ابن عباس "أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر ألفاً"[٢] .

السنّة التقريرية :

وهذا القسم من السنة يضم كل الأقوال التي قيلت ، أو الأمور أو الأفعال التي جرت أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فسكت عنها أو وافق عليها أو لم ينكرها أو استحسنها وبذلك يعتبر ما أقره الرسول كأنه صدر عنه فمن ذلك ما رُوي من أنه صلى الله عليه وسلم مر بأمرأة تبكي على قبر فقال لها : اتقي الله واصبري فقالت المرأة : إليك عني فإنك لم تُصَب بمصيبتي-وهي لم تعرفه. فلما عرفته جاءته معتذرة فقال لها : "إنما الصبر عند الصمة الأولى" فاستنتج الفقهاء من رؤيته إياها عند القبر وسكوته على ذلك جواز زيارة المرأة للقبور ومن ذلك ما رُوي أن المنافقين كانوا يطعنون في نسب أسامة بن زيد لأنه كان شديد السواد وكان أبوه زيد شديد البياض، وبينما كان أسامة وأبوه نائمين في المسجد وقد ظهرت أقدامهما من تحت الغطاء ، ومر قائف[٣] فرأى أقدامهما فقال : هذه الأقدام بعضها من بعض فظهر السرور على وجه النبي صلى الله عليه وسلم وكان في المسجد في ذلك الوقت[٤] فكان إقراره بهذا السرور الذي ظهر عليه دليلاً على أن القيافة طريقة من طرق إثبات النسب.

---

(١) الحاكم النيسابوري ، مرجع سابق ، م١ ، ص٢٥٢ ، وعقب عليه بقوله :صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي (كتاب الصلاة).
(٢) ابن ماجه ، مرجع سابق، م٢ ، ص ٨٧٨ (كتاب الديات/ باب دية الخطأ).
(٣) القيافة : معرفة خواص الجسم الخارجية .
(٤) زكي الدين شعبان،أصول الفقه الإسلامي، ليبيا : منشورات جامعة قار يونس ، ط ٤ ، ١٩٧٩، ص ص ٥٧-٥٨.

أقسام السنّة القولية :

لم يقدم لنا السابقون تقسيمات مفصلة للسنة القولية ففي مؤلفات علماء الحديث وعلماء الفقه وأصول الفقه لا نجد أكثر من مجرد سرد نماذج معينة لعدة أحاديث عامة يبنون بها السنة القولية تفريقاً بينها وبين السنتين الفعلية والتقريرية. وفيما يلي سنجتهد في تقسيم السنة القولية إلى ما يمكن تصوره من أقسام:

أ.الأوامر :

الأمر صورة من صور السنة القولية وهو طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من شخص أو أكثر فعل شيء. وقد يأتي الأمر عاماً فيكون موجهاً للمسلمين كافة. ويختلف حكم تنفيذه والعمل به بحسب قرائن صدوره. والأوامر النبوية في السنة القولية كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة "ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه"[1] وقوله الذي رواه جابر بن عبد الله "من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا"[2] .

وقد يأتي الأمر خاصاً أي موجهاً إلى شخص معين من الصحابة في أمر معين. وهنا يمكن للفقهاء أن يختلفوا حول وجوب العمل بهذا الأمر أو جوازه أو إباحته بحسب قرائن الأحوال ومدى إتقان هذا الأمر الخاص مع الأصول العامة للشريعة من الكتاب والسنة الأخرى التي قد تعضد هذا الأمر أو تخالفه. وللأوامر بعامة صور معروفة في اللغة منها أن يقترن الفعل المضارع بلام الأمر مثل "ليأكل أحدكم" أو يأتي الفعل مجرداً منها مثل "سمّ الله وكُل بيمينك" وقد يكون الأمر مروياً على لسان الصحابة كقول الصحابي "أَمَرَنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نفعل كذا وكذا" فإن صح هذا الحديث كان من الأوامر النبوية

(١) ابن ماجه ، مرجع سابق، م٢ ص ١٠٨٠٧ (كتاب الأطعمة / باب الأكل باليمين).
(٢) البخاري (فتح الباري) م ٩ ، ص ٥٧٥ (كتاب الأطعمة/ باب ما يكره من الثوم والبصل).

لأن الصحابة كلهم عدول ثقات ولابد أن ما ينقلونه من أوامر الرسول عليه السلام سمعوه منه بأنفسهم أو سمعه بعضهم من بعض وقد كانوا يتشددون في رواية الأحاديث تشدداً يجعلنا نقبل رواية الصحابي من غير شك. وإلى جانب هذا التشدد كانوا يقلون من الرواية خشية الوقوع في الكذب وهم يعلمون الحديث الصحيح المتواتر الذي يتوعد الكاذبين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنار.

ب- النواهي :

النهي هو خلاف الأمر فإذا كان الأمر يعني طلب فعل شيء ما، فإن النهي يعني طلب عدم فعل شيء ما، أو بلغة الفقهاء "طلب الكف عن فعل شيئ" والمنهيات هي الأشياء التي طلب الرسول عليه الصلاة والسلام عدم فعلها وقد أفرد لها الإمام محمد بن علي الحكيم الترمذي كتاباً خاصاً لا نعرف غيره في التراث العربي بهذه الخصوصية.(١)

وللنواهي بوجه عام صيغتان شائعتان هما :

١- أن يأتي النهي في صورة فعل مضارع مسبوق بلا الناهية مثل قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ... ﴾ {الإسراء/من الآية ٣٢}.

٢- أن يأتي بصورة غير مباشرة باستخدام ألفاظ تدل بذاتها على النهي مثل : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كذا أو كذا" أو ألفاظ تدل على التحريم مثل قوله تعالى في آية المحرم زواجهن﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ ...﴾ (النساء/من الآية ٢٣) .

وبخلاف هاتين الصيغتين قد يأتي النهي في صيغ أقل شيوعاً منها:

١- استخدام لفظ (إيا) مضافاً إلى ضمير المخاطب وهذه صيغة من صيغ التحذير مثل إياك أن تفعل كذا، أو إياكم أن تفعلوا كذا، أو إياكم وفعل كذا.

(١) محمد بن علي الحكيم الترمذي ، المهيات ، تحقيق محمد عثمان الخشت (القاهرة : مكتبة القرآن ، ١٩٨٦).

٢- استخدام أسلوب إنشائي معنى خبري لفظاً مثل "من أراد كذا فلا يفعل كذا" فهذا في ظاهره خبر ولكنه إنشائي في المعنى. ومن المعروف أن الأمر والنهي من أقسام الكلام الإنشائي.

٣- استخدام الفعل (دع) بمعنى اترك وهذا وإن كان أمراً في ظاهره فإنه نهي في الحقيقة كقوله عليه الصلاة والسلام "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"[١] .

جـ. القصص :

يبقى من السنة القولية بعد الأوامر والنواهي تلك القصص التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصها على أصحابه. وهي موضوع اهتمامنا في هذه الدراسة لأن هذه القصص لم تكن بدافع التسلية بقدر ما كانت بدافع التعليم والتأديب والاعتبار بما فيها من عبر.

وإذا أطلقنا تعبير "القصص في السنة" فقد نجد أنفسنا بإزاء نوعين من القصص هما:

الأول : القصص التي وقعت أحداثها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ورواها عنه الصحابة الذين كانوا أبطالها أو معاصرين لحدوثها وكثير من هذا النوع موجود في كتب المغازي والسير.

الثاني : القصص التي وقعت أحداثها قديماً وحكاها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه تذكيراً لهم وتعليماً. وهذا القسم هو موضع اهتمامنا وموضوع دراستنا هذه المتواضعة. وقد قصرنا استشهاداتنا على صحيحي البخاري ومسلم دون بقية كتب السنة لما يتمتع به هذان الكتابان من أعلى درجات الثقة بين كتب الحديث كما سنوضح في السطور القادمة.

---

(١) ذكره صاحب "كنز العمال" وعزاه إلى أحمد في مسنده إلى الترمذي وابن حيان المتقي الهندي (علي بن حسام لدين ت ٩٧٥هـ) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، شرح وتصحيح بكري حياني وصفوة السقا، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩م ، م ٣ ، ص ٤٢٩.

openkandil.com

مكانة الصحيحين بين كتب السنّة :

معنى كلمة "صحيح" ودرجاتها :

حتى قبل القرن الثالث الهجري كان العلماء يقسمون الحديث إلى مقبول (أو صحيح) وهو ما توفرت له الشروط التي تعارفوا عليها لاعتبار الحديث صحيحاً ومردود (أو ضعيف)، وهو الذي يفتقد أحد هذه الشروط.

ثم تطور هذان القسمان إلى ثلاثة أقسام فيما بعد القرن الثالث وهي :

١-صحيح ٢-حسن ٣-ضعيف

وتعريفات الحديث الصحيح كثرة في كتب علماء الحديث وخلاصتها أنه "الحديث الذي يتصل سنده برجال عدول ضابطين من أول السند إلى نهايته من غير شذوذ ولا علّة".

والمقصود بالسند : سلسلة الرواة. وبالعدول : جمع عدل (بفتح العين وسكون الدال) وهو المسلم البالغ العاقل السالم من الفسق والمحافظ على مروءته والمعروف لمن يعاصرونه بهذه الصفات. وبالضابط: الذي يروي ما يسمعه كما سمعه بالضبط دون تحريف أو تبديل ويظل على هذه الصفة طوال حياته فإذا اختلط عقله أو تغيرت حاله لم يصبح ضابطاً لما حفظه فتسقط روايته. والمقصود بالشذوذ : ما يرويه عدل منابط ولكنه يخالف فيه ما رواه جماعة مساوون له في الدرجة بزيادة أو نقص فهنا يصبح حديثه شاذاً. والمقصود بالعلة : انقطاع السند بين راوٍ وآخر وما شابه ذلك من علل يعرفها أهل الاختصاص وبذلك تكون خلاصة شروط الحديث الصحيح:

١- اتصال السند .

٢- عدالة كل راوٍ من الرواة.

٣- ضبط كل راوٍ من الرواة ضبطاً تاماً.

٤- سلامة سند الحديث (ومتنه) من الشذوذ.

٥- سلامته من العلة.

وأما الحديث الحسن فهو ما استوفى الشروط الخمسة السابقة إلا الشرط الثالث فقد تخف درجة ضبط أحد الرواة فيسمى الضبط حينئذ ضبطاً غير تام فيكون الحديث حسناً وهو عموماً من أقسام الحديث. أما الضعيف فهو الذي يفقد فقداناً تاماً أحد الشروط السابقة ولكل قسم من الأقسام الثلاثة أنواع متعددة مفصلة في كتب علوم الحديث.(*)

تفاوت درجات الصحيح :

تتفاوت درجات الحديث الصحيح عند علماء الحديث بقدر تحري الرواة ومدى ضبطهم ودقتهم وهذه الدرجات المجمع عليها:

المرتبة الأولى : ما اتفق عليه البخاري ومسلم-أي أخرجاه في صحيحيهما-وهذا معنى المصطلح المعروف "متفق عليه".

المرتبة الثانية : ما انفرد البخاري بروايته دون مسلم.

المرتبة الثالثة : ما انفرد مسلم بروايته دون البخاري .

المرتبة الرابعة : ما استوفى شروطهما ولم يخرجاه في صحيحيهما.

المرتبة الخامسة : ما استوفى شروط البخاري ولم يخرجه في صحيحه.

المرتبة السادسة : ما استوفى شروط مسلم ولم يخرجه في صحيحه.

المرتبة السابعة : ما صح عند غيرهما وليس على شروطهما ولا على شروط أحدهما.

(*) يمكن مثلاً مراجعة ذلك في المراجع التالية:
-الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (بيروت : دار الفكر. د.ت) .
-ابن كثير ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، المتن لابن كثير والشرح للشيخ أحمد شاكر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣).
-توفيق سالمان، المنهل الحديث في علوم الحديث (القاهرة: كلية أصول الدين بالأزهر، ١٩٩١م).
-إسماعيل مخلوف، دراسات في علوم الحديث (القاهرة: مطبعة الفجر الحديد، ١٩٩١م).

وبناء على هذا التقسيم المعتمد لدى علماء الحديث وقع اختيارنا على صحيحي البخاري ومسلم بوصفهما حائزين أعلى درجات الثقة. كما اخترنا القصص التي اتفقا عليها لتكون عينة لهذه الدراسة ما عدا قصة واحدة انفرد بها أحدهما.

أولاً : صحيح البخاري :

قبل الإمام البخاري كان الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) يقول "ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك "وذلك لأن الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت : ١٧٩هـ) كان أول كتاب جمع فيه صاحبه الأحاديث الصحيحة إلا أن علماء الحديث يرون أن كتابه الموطأ لم يخل من الأحاديث المرسلة (أي التي انقطع بعض سندها) أو البلاغات (أي الأحاديث المصدرة بكلمة بلغني أن كذا) وهذان النوعان-وقد يكونان صحيحين-ليسا مما يعرف لدى علماء الحديث بـ(الصحيح المجرد) أي المستوفي للشروط السابقة بدقة.

ومن هنا فإن الإجماع منعقد على أن صحيح البخاري (ت : ٢٥٦هـ) هو أول كتاب وضع بهدف جمع الأحاديث الصحيحة المجردة.

فمن هو البخاري :

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الملقب بالبخاري نسبة إلى بخارى التي ولد بها عام ١٩٤هـ. وقد طلب العلم في معظم البلاد المعروفة بوجود العلماء فيها في عصره كالشام ومصر والجزيرة (سافر إلى كل منها مرتين) والبصرة (أربع مرات) وأقام بالحجاز ست سنوات فضلاً عن طول إقامته بالكوفة وبغداد وأسفاره إلى بلخ وحمص وغيرهم وقال عن نفسه: كتبت عن أكثر من ألف رجل.

وقد اشتهر البخاري بذكائه الخارق وقوة حفظه الشديدة لدرجة أن بعض علماء عصره أرادوا أن يمتحنوه فقرأوا عليه مائة حديث دفعة واحدة وتعمدوا خلط أسماء الرواة في أسانيدها. فلما أجاب عليهم رد الأسانيد والمتون إلى أصولها مما جعل الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) الذي شرح صحيح البخاري بكتابه الشهير "فتح الباري : شرح

صحيح البخاري" يقول أنه لا يعجب من تصحيح الإمام البخاري للأسانيد المغلوطة عمداً بهدف امتحانه. وإنما يعجب حقاً من سرعة حفظه للأحاديث المائة بترتيبها المغلوط ثم ردها في الحال بنفس ترتيبها .

وقد قيل عن البخاري أنه لم يغتب أحداً قط منذ علم أن الغيبة حرام. وشهد له بالتقوى والورع وسعة الحفظ أساتذته ومعاصروه فضلاً عن تلاميذه. وقال هو عن نفسه : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح.

كتاب صحيح البخاري :

اسم الكتاب في الأصل هو "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" وقد بيّن البخاري أن سبب تأليف كتابه أمران. هما :

١- رغبة شيخه وأستاذه إسحاق بن راهويه إلى تلاميذه في وضع كتاب لصحيح السنة.

٢- رؤيا رأى فيها نفسه مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو (أي البخاري) يذب عنه بمروحة في يده (أي يدافع عنه) وسأل عن تفسيرها أهل العلم فقالوا له : إنك ستدفع عنه الكذب مما حمله على الشروع في جمع كتابه.

وقد استغرق البخاري في تأليف كتابه هذا ست عشرة سنة جمعاً وتدقيقاً وجمع فيه تسعة آلاف واثنين وثمانين حديثاً. كما يقول ابن حجر في المقدمة منها ألفان واثنان وستمائة حديث موصولاً بلا تكرار وسبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة تسعون حديثاً غير موصول. وذلك أن الإمام البخاري كان يذكر الحديث في أكثر من باب من الأبواب لتي قسّم كتابه إليها فقد يأتي به هنا موصولاً وهناك مقطوعاً[١] أو معلقاً[٢] أو مرفوعاً[٣] ..

(١) المقطوع : أي الذي لا يكون سنده متصلا.

(٢) المعلق : أن لا يذكر مخرج الحديث اسم من سمعه منه وللتعليق صيغتان: صيغة جزم كأن يقول (وروى، وجاء.. وعن..) بدلاً من تعبيرات الموصول (حدثنا فلان أو أخبرنا فلان عن فلان). وصيغة التمريض التي توحي بشكل المخرج في الحديث كأن يقول (قيل ، ويذكر.. ويروى..) وهكذا..

(٣) المرفوع : الحديث الذي أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وهكذا وللعلماء اختلافات في عدد ما في البخاري من الأحاديث بسبب طريقته في إيراد الحديث في أكثر من باب.

وقال الإمام البخاري : أخرجت الصحيح من ستمائة ألف حديث ، وما كتبت حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وما أدخلت في الجامع إلا ما صح".

وكان الإمام البخاري يشترط في الذي يروي له حديثاً أن يكون قد لقي من يروي عنه وسمع منه الحديث بنفسه. أما الإمام مسلم فكان يتساهل في هذا الشرط ولا يشترط اللقاء بين الراويين ومن هنا اعتبر العلماء صحيح البخاري أعلى درجة من صحيح مسلم كما أن جميع رواة البخاري من حيث العدالة والضبط كانوا اثنين وأوثق من رواة مسلم وقد أفردت كتب مخصوصة للترجمة لحياة رجال البخاري ورجال مسلم .

ثانياً : صحيح مسلم :

من هو الإمام مسلم ؟

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري ولد سنة ٢٠٢هـ وقيل ٢٠٤ وقيل ٢٠٦هـ ورحل إلى مكة سنة ٢٢٠هـ وإلى كل من الكوفة ومصر وغيرهما. وقد تتلمذ وسمع من الإمام البخاري ولازمه وكان من أكثر تلاميذه استفادة من علمه وأدبه. وتوفي سنة ٢٦١هـ. وقد أثنى عليه العلماء وأشادوا بقوة حفظه وورعه وتلقت الأمة كتابه بالقبول منذ وضعه إلى اليوم.

صحيح مسلم :

واسم كتابه "الجامع الصحيح" وقد ألفه أو جمعه من الأحاديث الصحيحة ليشتغل الناس بما فيه من علم نافع عما شاع في عصره من قصص القصاصين وافتراءات الزنادقة وأكاذيب أصحاب الفرق الضالة وكلهم كان يضع الحديث كذباً ليقوي به مذهبه.

ويمتاز كتاب مسلم عن كتاب البخاري بأنه يجمع أحاديث الباب الواحد معاً ويسوق الحديث بأسانيده المختلفة. ومن دقة الإمام مسلم أنه يذكر جميع الشيوخ الذين سمع منهم حديثاً معيناً ثم يثبته بعد ذلك مشيراً إلى اسما لشيخ الذي يتقيد بروايته عند الكتابة. وللكتابة مقدمة في تقسيم الأخبار وطبقات الرواة وعلى أيهم اعتمد في صحيحه ويعتبرها بعض الباحثين من المؤلفات المبكرة في علوم الحديث.

وقد قال الإمام النووي إن عدد أحاديث صحيح مسلم نحو أربعة آلاف حديث بعد إسقاط المكرر.

وبعد هذه اللمحة الوجيزة عن الصحيحين نشير إجمالاً إلى ما أورده ابن كثير وابن الصلاح وغيرهما من أن الأمة تلقت هذين الكتابين بالقبول وكل ما فيهما صحيح بلا شك. إلا أن هناك عدة أمور تستحق الإشارة. وهي:

١- أن الكتابين لم يستوعبا كل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هناك كتب أخرى أكثرها صحيح كصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان والمستدرك للحاكم والموطأ لمالك.

٢- أن بعض ما لاحظه كبار علماء السلف كالدارقطني وغيره ويردده بعض المتهافتين في هذه الأيام دون وعي لم يكن معناه انتقاد أحاديث بعينها في الصحيحين من حيث الصحة لأن الدارقطني وغيره يعلمون حجة جميع ما فيها ولكنهم أشاروا إلى أن الإمامين رحمهما الله لم يلتزما في بضع أحاديث التزاماً دقيقاً بتلك الشروط الفنية التي أعلنوا عن التزامها من حيث العدالة أو الضبط أو اتصال السند. ولكن الإمامين لم يذكرا ذلك في مجموع الأحاديث الصحيحة وإنما أشارا إلى ما في مثل هذه الأحاديث من علل فنية لكنها في جملتها صحيحة.

٣- أن تكريس عشرات المؤلفات على مدى العصور لشرح الكتابين فيه دلالة على أهميتهما.

القصص في الصحيحين :

انتهينا عند تقسيم السنة القولية إلى أنها تضم ثلاثة أقسام . هي:

١-الأوامر ٢-النواهي ٣-القصص

والقصص في كتب السنة من الكثرة بحيث قد يصعب على القارئ أن يستخلص منها ما تهدف إليه من غير أن يلم بأطرافها جميعاً.

وإذا كانت وظيفة الأوامر والنواهي واضحة في ذهن المسلم ، فإن أهداف القصص النبوي لابد لها من أن تكون واضحة هي الأخرى حتى لا تؤخذ على أنها ضرب من التسلية والترفيه. والله تعالى يقول عن نبيه الكريم :

{وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤}(النجم /الآيات ٣، ٤) .

وقبل أن نخوض في الحديث عن أهداف القصص النبوي يحسن بنا أن نصنف تلك القصص وهناك معياران للتصنيف نستطيع الأخذ بأحدهما:

الأول : معيار فني . تصنف فيه القصص إلى نوعين :

أ- قصص قصيرة جداً : وهي تلك التي لا تتجاوز روايتها بضعة أسطر وتخلو غالباً من الأحداث الكثيرة والشخصيات الكثيرة والحوار ومن أمثلتها ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

"عُذِّبت امرأة في هرة لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض"(١) .

ب- حكايات أو أقاصيص : وهي أكبر من النوع الأول وتحتوي على العناصر الفنية المعروفة للقصة وهي:

(١) صحيح مسلم بشرح النووي مجلد ١٤ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ (كتاب قتل الحيات، باب تحريم قتل الهرة).

ب/١- الأحداث .

ب/٢ – الشخصيات.

ب/٣ – الزمان والمكان.

ب/٤ – الحوار.

ومن هذا النوع مجموعة القصص التي اختيرت عينة لتحليلها .

الثاني : معيار موضوعي:

ونقصد به تصنيف القصص إلى ثلاث فئات :

١- الفئة الأولى وهي نوعان :

أ- نوع من القصص حكاه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يحدد له زماناً ولا مكاناً كقصة قتل الهرة السابقة.

ب- نوع احتوى زماناً ومكاناً وحكاه الرسول عن أمم سابقة. ويضم هذا النوع قصصاً تناولت الأنبياء السابقين وقصصاً لم تتناول الأنبياء.

وهذان النوعان يندرجان تحت فئة واحدة وهي القصص التي حكاها الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- الفئة الثانية :

وتشمل تلك القصص التي حكاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن حصيلة ما رآه ليلة الإسراء والمعراج أو في رؤاه المنامية العادية.

٣- الفئة الثالثة :

وتشمل تلك القصص التي وقعت في حياة الرسول صلى الله عليه وآلة وسلم وكان أبطالها أصحابه أو أعداءه وكثير من هذا النوع من القصص حدث في الغزوات أو الرحلات

وقد وردت الفئات الثلاث في الصحيحين وإن كان من الصعب تحديد النسبة المئوية لكمية القصص بالنسبة لبقية الأحاديث نظراً لما أشرنا إليه آنفاً من اختلاف كبار علماء السلف في تحديد عدد ما في الصحيحين من الحديث. على أن تحديد النسبة المئوية في ذاته لا يفيد كثيراً بالنظر إلى أن المقرر عند أهل العلم أن كل ما في الصحيحين صحيح ومقطوع بنسبته إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ومن ثم يمكن الاعتماد على قصة واحدة فقط بوصفها من السنة الصحيحة الواجب الالتزام بما فيها من آداب.

وقد أخذنا في اختيار ما اخترنا في هذا الكتاب من القصص النبوي بالمعيارين معاً. حيث أخذنا بالمعيار الفني في اختيار القصص ذات الأحداث أو ما أسميناه في إطار ذلك المعيار بالأقاصيص وأخذنا بالمعيار الموضوعي حيث اخترنا النوع الثاني من الفئة الأولى أي تلك القصص التي احتوت زماناً أو مكاناً وحكاها الرسول صلى الله عليه وسلم عن أمم سابقة.

أهداف القصص النبوي :

للقصص النبوي أهداف كثيرة تتبلور فيما يلي:

أولاً : استخدامها كوسيلة تعليمية :

كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحلقون حول رسولهم الكريم سائلين عن أحكام الدين الجديد التي كانت تتنزل تباعاً حسب المواقف . ومن هنا كان من الشاق عليهم أن تكون كل الجلسات تعليمية بحتة بحيث تخلو من تشويق.

والرسول عليه الصلاة والسلام بوصفه معلماً مربياً آتاه الله الكتاب والحكمة كان يعرف نفسية المتعلمين وفي الوقت نفسه لم يكن بطبيعته مستعداً لتضييع وقته ووقتهم في

obeikandl.com

اللهو أو في القصص التافهة وهو الذي كان يدعو ويقول "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع"[1] .

ثانياً : استخدامها لهدف معرفي :

فكثير من القصص كان الصحابة يستنتجون منه بعض المعارف المجهولة لديهم من أخبار الأمم السابقة وعاداتها وتقاليدها وتشريعاتها واختلافاتها المذهبية.

ثالثاً : استخدامها كمنهج من مناهج الدعوة :

مجالس النبي صلى الله عليه وسلم لا تكاد تخلو من وفود قادمة من الأمصار البعيدة أو القبائل التي أسلمت حديثاً ، أو القادمة للدخول في الإسلام وكان هؤلاء القادمون يجلسون فربما يطيلون الجلوس ، والصحابة معهم بالطبع وكان جلوسهم بهدف تعلم أصول الدين. والرسول عليه الصلاة والسلام بوصفه الداعية الأول يعلم ما للقصص من أثر طيب في الوصول إلى أعماق القلوب أكثر من المواعظ المجردة.

رابعاً : استخدامها لبيان القرآن وتوضيحه :

وهناك نوع من القصص النبوي حكاه الرسول صلى الله عليه وسلم توضيحاً لبعض قصص القرآن كقصة موسى وسبب خروجه إلى الخضر عليهما السلام. وما رواه من قصص تتعلق بالأنبياء إبراهيم وأيوب وغيرهما. عليهم السلام.

خامساً : استخدامها لغرس مكارم الأخلاق :

الإنسان بفطرته ميال إلى تقليد غيره . وتعليم الأخلاق بالمواعظ أضعف تأثيراً من القصص لأن القصص تدل السامع على إمكانية انتهاج السلوك الخير اقتداء ببعض أبطال القصة لأنهم من البشر ذوي القدرات الخاصة. بهذا الجانب يدل على عبقرية النبي عليه السلام في مجال التربية. إذ أن قول الرجل لابنه افعل كذا ولا تفعل كذا لا يؤثر فيه بقدر ما

(١) ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٦ ، (عن أنس).

obeikandl.com

تؤثر فيه قصة طريفة شائقة يقوم بطلها بهذا الفعل في إطار أحداث جذابة فتتولد القدوة الحسنة.

وبصفة عامة يمكن القول بأن مجموع هذه الأهداف يجعل للقصص النبوي قيمة تربوية بحاجة إلى مزيد من البحث التحليلي لإدراك جوانبها العميقة وإلى أي حد يمكن الإفادة منها في مناهجنا التربوية المعاصرة وهذا ما سنوضحه-بقدر الطاقة-في السطور القادمة.

obeikandl.com